الحب والرغبة بدل الخوف والرهبة
فى دور التربية والتعليم

ألقى « السر روبرت بادن باول » مؤسس فرق الكشافه فى العالم ومديرها العام خطبة استرعت الاسماع واستهوت الاذهان أمام مؤتمر التربية الخلقية الدولى الذى عقد صيف العام الماضى بمدينة جنيف من أعمال سويسرا موضوعها :

بناء صرح التربية على الرغبة بدل الرهبة

استهلها بقوله : انه رأى فى معبد شرقى إلها ذا ثلاثة رءوس الاول للحب والثانى للبغض والثالث للسلم فسأل عن أعرفها للناس وأكثرها عبادا فقيل له ان معظم القرابين والنذور تقرب الى إله البغض لا حبا فيه ولكن اتقاء له وزلفى اليه ليدفع عنهم كيد الكائدين وحقد الحاقدين ثم قال : يظن الانسان لأول وهلة أن هؤلاء الناس أغبياء سخاف العقول لخضوعهم إلى هذا الحد لسلطان الخوف ولكنه اذا فكر قليلا رأى ان الخوف يحتكم سلطانه فى هذا العالم وتدير سطوته دولاب أعماله

ألسنا للمحافظة على السلم نستعد للحرب خوفا من هجوم العدو

ألسنا نخطب ونعظ لنشر السلام فى العالم خوفا من هول الحرب ومصائبها

أليست حكومات العالم الراقية انما تعمد الى تمثيل جميع الطبقات فيها خوفا من اغضاب فئة خاصة وقيامها بتشريع خاص

أليس مايسمونه نظاماً فى الجيوش البرية والبحرية قائما فى الغالب على الرهبة من العقاب والخوف منه

أليس التخويف سلاحاً فى يد الاقوياء يرهبون به الضعفاء ويذلونهم

أليست عبارات التهديد والتخويف لا تزال متداولة حتى اليوم لصيانة حقوق الامم واحترامها

أليس الخوف دينا يدين به الكثيرون منا فلا يعبدون الله ولا يؤمنون به لأنه يحب لذاته ويعبد لوجهه بل لأنهم يخافون عقابه ويخشون عذابه[1]

ألسنا كثيرا مانسلك سبل الخير والفضيلة ونترك طرق الشر والرذيلة خوفاً من النتائج القانونية أو الوجدانية اذا ظهرت اغلاطنا واتضحت مساوينا لا حبا فى الخير وبغضا فى الشر كما كان ينبغى ويلزم

أليس الخوف من الفقر هو الدافع للانسان أن يسعى ويعمل ليكسب المال ويحصل عليه أليس . . . . أليس . . . . . ثم قال :

اننا مادمنا على هذه الحال ومادام الخوف لا الواجب مستحوذاً على نفوسنا فى جميع الاعمال لن نستطيع تغيير البيئة غير الصالحة التى نعيش فيها لأن الانسان لايستطيع تغيير حالته الاجتماعية الا اذا غير

---

(١) يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصف تقوى صهيب وورعه نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه

من أحواله النفسية وأطواره الخلقية كأنى به يقول « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

فأذا أردنا أن نمنع الحرب وجب أن نستأصل سببها وليس لها من سبب سوى الخوف الكامن فى القلوب اما نزع السلاح وحذف الجيوش فلا يجدى فى ذلك شيأ لأنه يغلب أن يكون نتيجة لها لا سبباً كما ان حذف رجال الشرطة لا يمنع ارتكاب الجرائم

ولما كان المعلم وحده هو القابض على قلوب النشء المتسلط على نفوسهم فانه لاغيره هو الذى يستطيع أن يستأصل منها بذور الطمع وغرائز الشر والتعدى على الضعيف كما يولد الألفة والمحبة بين أفراد الأمم المختلفة والشعوب المتباينة فيتضافرون ويتضامنون على ما فيه خيرهم وفلاحهم وبذلك يتحسن مستقبل الأنسانية ويسير الناس جنباً لجنب تحت راية الوفاق والوئام

نعم ان الحروب على ماجرّت على الانسانية من عذاب وشقاء وقادت الى خراب وفقر وأمراض قد أحيت فى النفوس البشرية صفات الرجولة الصحيحة . كالنخوة والمروءة والتجلد والنظام والشجاعة والبطولة واحتقار الملاذ وتضحية النفس وتلك صفات ماسرت فى أفراد أمة الا رفعتها الى عنان السماء ولا تجردت منها أخرى الا رشحت نفسها للفناء فكان حقا على الامم التى تطمع فى الحياة السعيدة أن تحتفظ بتلك الصفات الأدبية الجليلة التى لا تكسب الا من طريق التربية العسكرية

ولكن كم تكون تلك الصفات أسمى وأكمل اذا بنيت على أساس الحب والرغبة لا الخوف والرهبة ومن ذا الذي يسوى بين نظامين ضُرب أحدها على الناس قسرا وقهراً وقام الآخر على خالص الحرية ومحض الاختيار : ثم قال

كان طبعيا بعد هذا كله أن يكون نظام فرق الكشافة القائم على محض الحب والرغبة لألفى ألف من الشباب بنين وبنات من عامة البلدان ومختلف الأديان هو النظام الذى يكفل بقاء تلك الصفات الحربية وتنميتها فى قلوب المعتصمين به موجهة الى خير الأمم وإسعادها لا الى اشقائها وتعذيبها الى أن قال فى الختام :

ألا يمكننا أن نُحل هـذا النظام البديع المحبوب محل هـذه النظم المروعة العنيفة فى كل ما تزاول من الأعمال ؟ . . . انتهى

تلك هى أقواله وانى لأرى قبل مغادرتها الى أصل الموضوع أن أوجه حضرات القراء الى كلمة رأيتها منقوشة على قاعدة تمثال المفكر السويسرى « الكسندر ڤينى » بلوزان فى الصيف الماضى لم أجد أبلغ منها ولا أحكم فى التعبير عن كل ماتقدم من تفصيل وهى « يجب أن يكون الانسان حراً مختاراً ليستطيع أن يقدم للانسانية خدمة تذكر فتشكر »

فاذا كان السر بادن باول يرى ان احلال الحب محـل الخوف فى جميع الأعمال أمر واجب لازم كان فى التربية والتعليم بنوع خاص أمراً أوجب وألزم اذ أن الحب من أسمى الميول وأكرم الغرائز التى أودعها

الله سبحانه وتعالى قلب الطفل ومن آثارها نفوره من هـذا وتعلقه بذاك وألفه درس الاستاذ الذى يحبـه ألفا هو أساس انتفاعه بعلمـه وزيادة الرغبة فيه

قال المربى الفرنسى الكبير « ديدرو » عنـد ما عوتب فى شأن تلميذ له لم يستفد من دروسه :

« ماذا تريدون أن أعلمه انه لا يحبنى »

Que voulez-vous que lui apprenne ; Il ne m'aime pas

وقد أنحى المربى الانجليزى الشهير « توماس ارنولد » من نحو ثمانين عاما باللائمة الشديدة على هؤلاء المربين المستبدين الذين يرهقون التلاميذ ويريدون أن يقبضوا عليهم بيد من حديد لأن ذلك علاوة على انه ينفرهم من المعلمين ويزهدهم فى العلم يضرب عليهم الذلة والمسكنة وما كانت التربية الصحيحة لتخرج عبيداً ضعافاً أذلاء بل سادة أحراراً كبار النفوس يتمتعون بالرأى والحرية التامة فى كل مايعرض عليهم من الاعمال

فلنـدع الأطفال ينفردوا بأنفسهم ويختلوا بما حولهم ولنمنحهم نصيباً صالحـاً من الأعمال المدرسية الادارية ولنمكنهم بقدر ما من الحكم فيما بينهم ليتعرفوا معنى السلطة وليذوقوا طعم الأمارة وليشعروا من بدء نشأتهم بالتبعة التى هى دائما قرينة الرآسة ولازمة لها

ان قانون تقسيم العمل وتنوع الأعمـال وتشعبها واتساع دوائر

الاختصاص فيها فى الازمنة الحديثة أصبح يتطلب عدداً عظيما من الرؤساء المهذبين المدربين وأنى لنا بذلك التهذيب وهذا التدريب اذا لم تعن المدرسة بأشراكهم معها فى كثير من أعمالها المختلفة ليدرجوا على واجبات الرآسة ويتمرنوا على أساليبها من حداثة أسنانهم

ألقى المسيو برتييه ناظر احدى مدارس مدينة ستراسبورج خطبة شائقة أمام المؤتمر هذا العام موضوعها :

« كيفية اعداد الرؤساء »

فبدأ بتعريف الرئيس فقال :

الرئيس رجل يدير شؤن غيره ويملك قيادهم لأنه تعلم كيف يدير شؤن نفسه ويملك قيادها

Le chef est un homme qui dirige et domine parce qu'il sait se diriger lui-même et se dominer

ومن جليل ما قال انه لاشئ يسمو بالأطفال الى مستوى الاخلاق العالية وينقلهم بسرعة عجيبة من طور نزق الشباب الى طور رصانة الشيخوخة مثل الثقة بهم وتشريفهم بشىء من المسئولية بين أقرانهم الى أن قال :

ولقد خطت مدرستى فى هذا السبيل خطوات واسعة جعلتنى فى غنى عن الضباط والملاحظين إذ عهدت بأمر النظام والنظافة والترتيب وغيرها الى لجنة من كبار التلاميذ وعقلائهم وقد قاموا بها تحت اشرافى خير قيام اه

وان فى انتشار هذا النوع الجديد من المدارس فى أمريكا وانجلترا وفرنسا لبرهاناً ساطعاً على ماله من المزايا الجمة والفوائد الجليلة

ولقد قرأت منذ سنين أن لوردا انجليزياً غنياً أراد أن ينشئ مدرسة من غير معلمين فأعدّ لها المكان وجهزها بالأثاث والأدوات ثم أغلق على التلاميذ الباب وتركهم وشأنهم لينظموا أمورهم ويتعلموا من تلقاء أنفسهم بالمخالطة والمراس غير أن تلك المدرسة قد فشلت ولم يك بالغريب فشلها فكل مازاد على حده انقلب الى ضده اذ لا غنى للمتعلم عن المعلم والمسترشد عن المرشد وانما ضربتها مثلا وان لم تنجح لما تدل عليه من اغراق هؤلاء فى ضرورة اطلاق الحرية للمتعلمين والثقة بهم الى حد بعيد

احمد فهمى العمروسى

السلطة والحرية

معناهما . نشأتهما . اثرهما فى التربية

زين للناس حب الحرية فهاموا بها وصبت نفوسهم اليها وجعلوها غرضهم فى الحياة وتخيلوها الهة السعادة فعبدوها وأنشدوا الاشعار فى مدحها وضحوا بحياتهم فى سبيلها فوقعوا فى الأسر الذى منه يفرون ورضوا بالذل وهم صاغرون . تلك قوانين الاجتماع ومناهج العالم وسنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

فالحرية المطلقة سراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم